المرحلة : الثالثة

المادة : أصول الفقه

مدرس المادة : د. زيد عبد المنعم خليل

الموضوع : المصادر التشريعية التي اختلف فيها الأصوليين حجية الاستصلاح (المصلحة المرسلة)

من يتأمل كلام الأصوليين في أمر الاستصلاح ، والعمل بالمصالح المرسلة ، والآراء التي ينسبونها إلى الأئمة المجتهدين : يجد أن فيما ذكروه اضطراباً وغموضاً ،
لذا فقد اختلف العلماء في حجيته :

ذكر الأسنوي مذاهب متعددة في الاحتجاج بالمصالح وقال فيه ثلاثة مذاهب :
الأول : عند ابن الحاجب والآمدي: ليست حجة مطلقاً ولا دليلاً لبناء الأحكام عليها.

الثاني : عند مالك وإمام الحرمين ونقل عن الشافعي: أنها حجة مطلقاً وأصل لبناء الأحكام عليها ونقل عن إمام الحرمين أنها حجة بشرط أن تكون مشبهة بالمصالح المعتبرة.

الثالث : عند الغزالي والبيضاوي: هي حجة بشرط أن تكون ضرورية قطعية كلية.

أما أقوال بقية الأصوليين في حجية المصالح المرسلة :

١ـ **قال الزركشي :** اشتهر عن المالكية القول بالمصلحة المرسلة وليس كذلك ، فان العلماء في جميع المذاهب يكتفون بمطلق المناسبة (أي مجرد وجود المناسبة بين العلة والحكم ، بمعنى تناسبها عموماً) .
٢ـ **قال القرافي :** المصلحة المرسلة معمول بها في عامة المذاهب، ومما يؤيد قول الزركشي القرافي :

أ_ إن تطبيقات المصالح المرسلة متفق عليها بين علماء الأصول سواء من اشترط الشروط للعمل بها أو من لم يشترط.

ب_ ان الإمام مالك (رحمه الله) وهو المشهور عنه القول بالمصلحة المرسلة ، لم يعمل بكل مصلحة ، بل ما كانت المصلحة فيها ضرورية وكلية وقطعية .

الراجح: هو القول بأن الخلاف بين الأصوليين في حجية المصلحة المرسلة هو خلاف في الأسلوب والمنهج ... وبيان ذلك فيما يأتي :

إن الإمام مالك: اعتبرها دليلاً فقهياً مستقلاً ، أي كانت عند المالكية قواعد اجتهادية خاصة بالمصلحة المرسلة .

أما الإمام الشافعي: اعتبرها وجها من وجوه القياس ؛ لأن القياس لا يعجز عن الدلالة عليه.

مما تقدم يتبين أن المصلحة المرسلة متفق عليها من حيث المعنى والجوهر .

إذن ما السبب في ردها من قبل البعض أو اشتراط الشروط لها ؟

الجواب : ان علماء الأصول لم يقرروا المصلحة المرسلة كأصل معتبر خوفاً من اتخاذ أئمة الجور والظلم إياه حجةً لاتباع أهوائهم واستبدادهم .. وقالوا بوجوب إرجاع الأحكام إلى النصوص ولو بقياس خفي ، ولم يتركوها لاجتهاد الأمراء والحكام ، وهذا الخوف كان في محله.. ولذا فالمصلحة المرسلة هي أدق مسالك العلة في القياس ... إذن فالظروف واختلاف البيئات هي أساس هذا الاضطراب ، فمن تشدد عاش عهد الظلم والجور ، ومن خفف عاش عهد العدالة والتقوى .